



## هوامش

كانت حال الغجر في سورية كحال غيرهم من السوريين الذين اضطروا إلى ترك البلاد أو العيش في المخيمات، بفعل الحرب. وهكذا، لا يختبرون الترحال فقط، بل النزوح أيضاً



غجر يعزفون ويرقصون في عرس بحدوب قديم في سورية (Getty)

# السوريون الغجر ترحال مستمر نحو المجهول

امينة العاصي

كان للحرب تأثير كبير على غالبية الغجر السوريين الذين اضطروا إلى ترك البلاد حالهم حال كثيرين. وللغجر السوريين إرث ثقافي خاص بهم يُعرفون به لدى غالبية المواطنين، ومهن لا يتقنها غيرهم ميزتهم عن سواهم. ولا توجد معلومات مؤكدة عن الفترة التاريخية التي جاء فيها الغجر إلى سورية أو عموم بلاد الشام. لكن من المرجح أن أصولهم تعود إلى بلاد الهند، وقد اختاروا الترحال، ولا تكاد تخلو دولة في الشرق الأوسط من الغجر. وطوال عقود، حاول الغجر في سورية الحفاظ على هويتهم بل وإنقاذها. لذلك، كانوا يقيمون في الأرياف وعلى أطراف المدن للحفاظ على ثقافتهم. ويقول الشاب أبو شمسة، وهو أحد الغجر في سورية، إن أكثر من 90 ألف غجري تركوا سورية على مدى سنوات الحرب، موضحاً في حديث مع «العربي الجديد» أن التقديرات تشير إلى أن تعداد الغجر في سورية كان قبل عام 2011 نحو 100 ألف نسمة. ويوضح

أنهم كانوا ينتشرون في غالبية المناطق السورية، مضيفاً: «لم يكن تجمعاً منطقياً واحداً. كنا ننتشر في أرياف إدلب وحماه والساحل وحلب». ويقول أبو شمسة إن لدى الغجر لغة خاصة يتواصلون بعضهم مع بعض من خلالها، لافتاً إلى أن جميع الغجر يتقنون أيضاً اللغة العربية، «كل بحسب لهجة المنطقة التي يقطن بها في أرجاء سورية». كما يوضح أن الغجر في سورية لديهم جنسية سورية والشبان كانوا يؤدون الخدمة العسكرية الإلزامية في الجيش السوري، مضيفاً: «نحن سوريون لنا ما لهم وعلينا ما عليهم، ولكن لنا عادات وتقاليد تميزنا عن غيرنا». يضيف: «الغجر لا يزوجون بناتهم لشبان من غير الغجر. لكن بعد النزوح، هناك بعض الغجر الذين خرقوا هذه القاعدة. وتزوج رجال من نساء لسن غجريات، ولكن لم يحدث حتى اللحظة أن تزوجت غجرية من غير غجري». ويوضح أن بعض الغجر الذين فضلوا البقاء في سورية أو لم تساعدهم ظروفهم على الهجرة، يقيمون في مخيمات النزوح في

أرياف إدلب، ويعانون ظروفًا معيشية صعبة مثل بقية السوريين النازحين من مدنها وبلداتهم. أما البقية، فموزعون في تركيا والعديد من البلدان الأوروبية. وبلغت إلى عدد كبير من الغجر السوريين هاجروا إلى المغرب العربي وسكن غالبيتهم في مدينة وجدة على الحدود مع الجزائر وفصلوا الإقامة في بلد عربي مسلم على الذهاب إلى بلدان أوروبية، مضيفاً أن الحكومة المغربية أعطتهم كل الحقوق، بما فيها حق الإقامة والعمل. وحول موقف الغجر من الثورة السورية، يوضح أبو شمسة أن الغجر اختاروا الوقوف على الحياد، مشيراً إلى أن البعض انخرط في الثورة. يضيف: «هناك عشرة أشخاص من الغجر معتقلون في سجون النظام»، موضحاً أن «الغجر يختلفون عن النور والقرباط والطبالة». يضيف: «كل فئة لها ثقافتها المختلفة. نحن الغجر لدينا جنسية سورية في حين أن النور ليسوا كذلك». وعن المهنة التي تميز الغجر في سورية، يتحدث أبو شمسة عن «صناعة

### باختصار

التقديرات تشير إلى أن تعداد الغجر في سورية كان قبل عام 2011 نحو 100 ألف نسمة. كانوا ينتشرون في غالبية المناطق السورية

عدد كبير من الغجر السوريين هاجروا إلى المغرب العربي وسكن غالبيتهم في مدينة وجدة على الحدود مع الجزائر وفصلوا الإقامة في بلد عربي مسلم

لدى الغجر السوريين لغة خاصة. لكنهم جميعاً يتقنون اللغة العربية أيضاً

السكاكين بأشكالها المختلفة للاستخدام في المطابخ أو للزينة»، مضيفاً أنها «مهنة يتوارثها الغجر وتتطور بشكل دائم». ويقول إن الغجر «يتقنون مهنة تصليح الأسنان. الغجري كان يتميز بتركيب أسنان الذهب». ويعدّ الموسيقار محمد عبد الكريم المولود في مدينة حمص وسط سورية إحدى أبرز الشخصيات الغجرية التي كان لها حضور مميز وطاغ استمر عقوداً، ليس في سورية فحسب بل في العالم العربي كله. وكان يسمى أمير البرق، وشيطان البرق، بسبب إبداعه في العزف على هذه الآلة الموسيقية الصعبة. لكن عبد الكريم لكبار المطربين والمطربات في العالم العربي، منهم: صباح فخري، فايزة أحمد، سعاد محمد، صالح عبد الحي، ماري جبران، وآخرون. وساهم في تأسيس إذاعات عدة في البلدان العربية، منها الإذاعة السورية، وظل لسنوات طويلة يقصد مبنى الإذاعة فجراً ليعزف مقطوعة على آلة البرق، في افتتاح البث، كانت تميز إذاعة دمشق عن سواها من الإذاعات العربية. وله مقام خاص به مسجل باسمه (مريوما)، ما يؤكد تفرده في الموسيقى العربية. عزف محمد عبد الكريم في أهم المسارح الأوروبية، وكان يُقابل باحتفاء كبير. وشبهه بأشهر عازفي الكمان الإيطاليين نيكولو باغانيني، الأمر الذي دفع موسيقار الأجيال، محمد عبد الوهاب، إلى تسميته بـ «باغانيني الشرق». لكن عبد الكريم توفي في عام 1989 فقيراً منسياً في بيت متواضع في العاصمة السورية دمشق.

## وأخيراً

### كتاب يردّ الجميل للشعر

سعدية مفرج

عميق، اعتمد، في تكوينه، على ذائقته أولاً، كما يبدو، وعلى ما قرأ ودرس وبحث وقارن ثانياً. وعلى الرغم من أن المسعودي استهل كتابه باستهلال مكتنز بالأسئلة الوجودية والأجوبة الوجدانية حول الشعر، إلا أنه سرعان ما دلف لاحقاً إلى رؤى معمّقة في الأسس والقواعد والنظريات. في الاستهلال يتساءل ويجيب: «ما الشعر؟ كيف الشعر؟ من أين يأتي الشعر.. وإلى أين يذهب الشعر.. الشعر.. الشعر.. السحر الذي نبحت عنه ونتمناه.. الطيران الخفيف للجسد والروح.. الحزن الشفيف الذي تصبغ به الوجوه أجمل.. الجرح الطفيف.. الذي تبرأ به الأوجاع.. أغنية أم غاب وليدها.. هجينة أب أخذته الغربة.. أحذية فارس يبحث عن بطولة.. تنهيدة عاشقة دستها وراء ستارة الزمن لتلا يراها حراس المشاعر؟». وبعد هذا الاستهلال الشعاري الأنيق، يطوف بنا المسعودي في أفاق مفتوحة ما بين التعريف والنظرية والحكاية والرأي والقصيدة، قبل أن يعود، في مساحة الاستهلال نفسها، ليعرف بكتابه: «هنا أقدم بحثاً يتتبع ما هياً للشعر أن يكون ديوان العرب: أبداً به من حيث يجب أن يتبدى الكلام. وقد

اصطفت كتباً محدّدة من بين الكتب الكثيرة، حتى لا أتشعب في الأودية وأتبه في الماهيل.. وأسقط في حفرة من حفر الجهل، ولأركز في الفكرة الرئيسية، لعل هناك من يبني على هذا الجهد فيجعل أكثر ثراءً.. ويغطي الجوانب التي تمتد إليها اليد». وقد ركز المؤلف فعلاً في الفكرة الرئيسية لكتابه، باعتباره بذرة لما سيأتي بعدها، محافظاً على سلاسة المنهج الذي اعتمده لنفسه منذ البداية، حيث قسم كتابه على سبعة مباحث رئيسية: الشعر في

كتاب بدا قطعة من الجمال والسحر، تقارب الشعر وتجانس النثر، وإن كان مبتسراً في بعض مواضعه

القرآن الكريم، الشعر في أسباب النزول، دور الشعر في التفسير، الشعر في السنة النبوية، ما يجوز من الشعر والرجز والحداء، ما جاء موزوناً في القرآن، في فضل الشعر. ثم أكمل مباحثه في ما قاله عن الشعر نثراً، ثم في ما قاله عن الشعر شعراً. وفي كل تلك المباحث وما تلاها، لم يتخلّ المسعودي عن لغته الرصينة الجميلة، ولا عن أسلوبه العلمي الهادئ، فبدا الكتاب قطعة من الجمال والسحر، تقارب الشعر وتجانس النثر، وإن كان مبتسراً في بعض مواضعه التي من الواضح أن الكاتب كتبها على عجلة من أمره، أو جعلها بداية فقط لما يمكن أن يبني عليها. ويبدو أن الكاتب كان حريصاً على أن يعيد كتابه عن ثقل الكتب العلمية، من دون أن يفقده ما يميزها من رصانة. ولذلك لجأ إلى تلك التطعيمات الشعرية والنثرية الثرية، بالإضافة إلى جمال اللغة الأخاذة، حتى في أصعب مواضع النظرية فيه. في إهدائه الشخصي لي، كتب المسعودي إن الكتاب «بحث.. أشبه بمحاولة ردّ الجميل للشعر.. الذي طلّبت كثيراً على قلوبنا لحظة انكسار». وما أجملها من محاولة.